فـريـد : بـاحـثـا مـصـطـلـحـيـا

آهمية المصطلح... (تتمة)

يكون أكثر عسراً لذلك سنكتفي ببعض الإشارات مما تضمنه مصطلح التوحيد من كنوز مفهومية اعتماداً على ما كشفته الدراسة المصطلحية من أسرار نص الكليات.

يفيد مصطلح التوحيد -من خلال ما كشفه (مفاتح النور)- عدة مفاهيم، أهمها المفهوم الكلي والرئيسي المعتمد لدى النورسي وهو : «مشاهدة اليقين لانفراد ربوبيته تعالى، ووحدانية ألوهيته، في خَاتمه المضروب على كل شيء»(10).

لقد استخلص الأستاذ فريد هذا التعريف من خلال تتبعه لعدة نصوص الكليات التي لها علاقة بالمفهوم، وانتهى إلى أن مصطلح **(التوحيد) من أهم المفاتيح الاصطلاحية لفكر بديع الزمان النورسي**، منها قوله : «إن المقاصد الأساسية من القرآن وعناصره الأصلية أربعة : التوحيد والنبوة والحشر والعدالة» وكذلك قوله مبينا قيمة التوحيد وتميزه عن العناصر الأخرى : «ليس هناك أهم ولا أعظم مسألة في الوجود من التوحيد والآخرة» وقوله : «التوحيد هو أعظم حقيقة في عالم الوجود»(11).

والواقع أنه ليست النصوص المتكررة في هذا الباب عند النورسي هي التي أبرزت مفهوم التوحيد عن باقي المفاهيم الأخرى فقط، ولكن أيضا للتشكلة المصطلحية ورد بها هذا المفهوم اشتقاقا وترادفا وضمائم. ولهذا أكد الأستاذ فريد رحمه الله أهمية هذا المفهوم بقوله : **«إن مفهوم (التوحيد) إذٍن يرجع عنده إلى حقيقة وجودية كبرى وسِر كوني عظيم، ولذلك كان أضخم مفهوم عنده، وأثقل مصطلح في منظومته الفكرية، حتى إن عمله العلمي ومجهوده التفسيري كان يدور في مجمله على محور (التوحيد) بمراتبه المختلفة»**(12).

غير أن من أهم ما كشفته الدراسة المصطلحية لكليات النور وخاصة لدراسة مصطلح (التوحيد) ما يتعلق ببعض المشتقات والضمائم، فبالنسبة للمشتقات هناك مصطلحان : الواحدية والأحدية : «فالواحدية هي تفرد الله سبحانه في ذاته بكونه ربا وإلها لكل شيء، أي تفرده تعالى بالربوبية والألوهية.

والأحدية هي تجلي أسماء الله الحسنى في كل شيء من حيث هو سبحانه خالق كل شيء وقيوم كل شيء.

وبيان الفرق بينهما أن الوحدانية هي صفة لله تعالى في وحدانيته، وتفرده في ذاته، بغض النظر عن شهادة خلقه له، وهذا المعنى راجع إلى التصور الذهني للتوحيد.

أما الأحدية فهي مشاهدة ذلك في خلقه، أي دلالة الخلق عليه سبحانه»(13).

وبالنسبة للضمائم نقف عند ما يلي :

«التوحيد الخالص : هو التوحيد الحقيقي، سمي خالصاً لخلوصه لله وحده، ولرد كل شيء إليه وحده سبحانه وتعالى وصفاته من الشبهات والشطحات، قال «إن أساس الإسلام هو التوحيد الخالص»(14).

إن هذه الوقفات تنبئ بجلاء عن قيمة الدراسة المصطلحية في فهم النص فهما سليما، ذلك أن القراءة السطحية يمكن ألاّ تفرق بين الأحدية والواحدية، ويمكن ألا تربط بجلاء بين التوحيد والإخلاص.

لكن التتبع الدقيق لاستعمال المصطلح عند النورسي كشف الفارق بين دلالة المصطلحين ذلك أن الوحدانية مرتبطة بالتصور الذهني للتوحيد، فالله سبحانه وتعالى واحد في صفاته منفرد في ذاته، لا شريك له في أي شيء من ذلك، بينما الأحدية فهي ما يستخلص من دلالة الخلق عليه سبحانه، فبَديع صنع الكون ونظامه وأسراره يدل دلالة كاملة على أحدية الله بصورة مطلقة.

وأما فيما يتعلق بضميمة الإخلاص فلابد من وقفة بسيطة لكنها جوهرية فيما أحسب، لا تتبدّى إلا عن طريق الدراسة المصطلحية، وهي أن مصطلح التوحيد كما يذهب إلى ذلك رائد الدراسة المصطلحية الأستاذ الدكتور الشاهد البوشيخي، لم يرد إطلاقا في القرآن الكريم بهذه الصيغة. ذلك أن مفهوم التوحيد وخاصة بالمعنى الذي ورد عند النورسي المشار إليه آنفا، قد ورد في القرآن بمصطلح آخر وهو مصطلح (الإخلاص) كما في قوله تعالى : ﴿قل الله أعبد مخلصا له ديني﴾ وقوله عز وجل : ﴿قل انما أمرت أن اعبد الله مخلصا له الدين﴾ وقوله تبارك وتعالى : ﴿فادعوه مخلصين له الدين﴾ وقوله : ألا لله الدين الخالص﴾ وقوله : «وما أمِرُوا إلاّ ليعبدوا الله مخلصين له الدين﴾.

إن هذه الآيات جامعة لمفهوم التوحيد بشكل كاملٍ حيث إن الإخلاص في الدين هو أسمى مقَامات التوحيد، ولذلك فإن التعريف الذي استخلصه الأستاذ فريد رحمه الله من التوحيد الخالص، حينما بين بأنه يفيد عند النورسي : «التوحيد الحقيقي وأنه سمي خالصا لخلوصه لله وحده» هو التعريف الذي يمكن أن يقدم للاخلاص في العبادة. **ولعل الوقفة المتأنية عند مصطلح الإخلاص في القرآن الكريم تقود إلى استخلاص عدة مفاهيم حام حولها المشتغلون بالتوحيد لكنهم لم يبرزوها بشكل جلي، لتميز مصطلح "الإخلاص في الدين" عن مصطلح "التوحيد" على اختلاف اشتقاقاته وضمائمه.**

1- مفاتح النور، ص 12- 13.
2- المرجع السابق، ص.14 /// 3- المرجع السابق، ص 15.
4- المرجع السابق، ص 15. // 5- المرجع السابق، ص 15.
6- المرجع السابق، ص 15. // 7- المرجع السابق، ص 17.
8- المرجع السابق، ص 18. // 9- المرجع السابق، ص 19.
10- المرجع السابق، ص 48. // 11- المرجع السابق، ص 62.
12- المرجع السابق، ص 63. //13- المرجع السابق، ص 76.
14- المرجع السابق، ص 78.

من وحي بعثة التجديد الاسلامي للدكتور فريد الانصاري

لا زالت نظراتك الثاقبة، المفعمة بجداول الروح الرقراقة نتذكرها...

وها هو ميثاق عهدك يا سيدي يصحبنا نحو جمالية الدين، ويعرج بقلوبنا للتعرف على الله تعالى ويفتح لنا النور لتجديد حياتنا، في أدب راق ومنهج سليم، بإحساس مرهف وذهن متقد قويم.

وها هي مدرسة القرآن تشرق من مجالسها أنوارخضراء، بتأصيلاتها المنهاجية، ونماذجها التطبيقة، وقضاياها العمرانية..

لتحرير أهل السيماء نفسا وصورة، وفك أغلال حُمَّال الرسالة تعبدا وبلاغا..

فيا ويح من قال إنك ذهبت..؟ إنك انتهيت إلى مثواك الاخير..؟

فذلك من تفلتت من بين يديه أبجديات المنهج، ولم يشاهد منازل الجمال عبر قناديل صلاتك.. ذلك من لم تمتد يده نحو مقاصد عالميتك، ولم يخفق قلبه ببلاغات رسالتك..

لعله ضاع منه التوحيد والوساطة في التربية الدعوية، أو فقد هوية نصائحك الأخوية للحركة الإسلامية..

فريد الأنصاري ياسادتي بفطريته، كشف المحجوب، وفتح القلوب.. في بلاغ حكيم.. وبيان رحيم. بالحقائق والمعاني أسس من جديد لدعوة الإسلام..

وعبر مسلك القرآن، بلا جدال أو خصام.. وإنما بالتلقي والتزكية كابد عناء تصحيح تصورات الإنسان، فأخرجه من رهب النيران الى أشواق الجنان..

فلتخضر ألسنتنا بأحرفه المجيدة، ولنشمر على ساعد الجد، ونعزم على الانخراط في كوكبة العلماء الربانيين... والدعوة إلى الخير...

من محبي المرحوم الأستاذ فريد الأنصاري

• عبد الهادي باباخويا

دور العلماء في الأمة..

... للعلماء مكانة في الأمة لا تضاهيها مكانة، ومنزلة لا تسمو فوقها منزلة؛ فهم خلفاء الله في الأرض بعد الرسل وهم ورثة الأنبياء. قال تعالى : ﴿شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم﴾(آل عمران : 18)، ولعلو مكانتهم فقد أبى الله إلا أن يرفعهم درجات علا... ﴿يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات والله بما تعملون خبير﴾(المجادلة : 11).

ولأجل ذلك كانوا هم أشد الناس خشية لله عز وجل ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾(فاطر : 28).

وأما الأحاديث النبوية الشريفة الواردة في فضل العلماء فأكثر من أن تُحصى ومنها قو له ﷺ : «من يرد الله به خيراً يفقهه في الدّين» فيصير بذلك سراجا منيراً يضيء الطريق للحيارى والشاردين ويوجه الأمة إلى ما ينفعها في دنياها وآخرتها.

ومن أجل ترغيب المؤمنين وحملهم على طلب العلم والعناية به، قال الصادق المصدوق ﷺ : «ومن سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له به طريقا إلى الجنة». وقريبا من هذا المعنى يضيف ﷺ : «إن الله وملائكته وأهل السماوات والأرض حتى النملة في جحرها وحتى الحوت يصلون على معلم الناس الخير».

لهذا كله فقد هيأ الله سبحانه وتعالى لهذه الأمة رحمة بها في كل زمان عبر تاريخها الطويل كوكبة من العلماء العاملين والدعاة المهتدين يسلكون بها طريق الهداية والرشاد يرفعون الهمم ويشحذون العزائم كلما اشتدت على الأمة المحن وكلما اختلطت عليهم الأمور وضاقت بهم الأرض بما رحبت. فلم يخل زمن من أزمنة المسلمين الطويلة من علماء أجلاء ودعاة صالحين ومجاهدين ربانيين يقودون سفينة الأمة إلى بر الأمان في أحلْك فتراتها وقد مروا بنكبات وأزمات كانوا فيها على شفا حفرة من الفتن والنكبات كادوا أن يصبحوا بعدها أثراً بعد عين. وكلما قل هؤلاء العلماء الربانيون في الأمة قل دور الأمة وأفل نجمها بين الأمم...

ولهذا فلما هُمِّش دور العلماء وقل وجودهم في القرون الأخيرة وصلت الأمة إلى ما هي عليه اليوم، مكبلة في سلسلة ذرعها السماوات والأرض من التخلف والضعف والمسغبة وما شئت من ألفاظ التردي والبؤس فلا عزة بقيت لهم ولا رأي ولا مشورة فحال المسلمين اليوم لا يسر عدواً ولا صديقاً : أيتام على مأدبة لئام لا يراؤون فيهم إلاّ ولا ذمة..

فلا عزة للأمة بعد هذا إلا بعودة العلماء الصالحين الربانيين إلى مواقعهم ومقامهم بما تمليه عليهم مكانتهم للنهوض بالأمة من كبوتها وليس ذلك عليهم بعزيز متى صدقت النوايا وشُحدت الهمم..

ويستتبع ذلك ضرورة الاعتناء بطلاب العلم وإعطائهم المكانة اللائقة بهم في المجتمع وتحفيزهم ماديا ومعنويا تشجيعاً لهم وللآباء حتى يحرصوا على توجيه أبنائهم لتحصيل العلم والاعتناء به... وينبغي أيضاً لأصحاب الأموال والمحسنين في الأمة الاستثمار في هذا المجال والدفع فيه إلى أقصى حد عن طريق انشاء معاهد ومؤسسات بمواصفات حديثة لاستيعاب طلبة العلم وفتح الآفاق أمامهم من أجل استكمال دراساتهم العليا وتيسير جميع السبل لهم من أجل ذلك وهذا باب من أبواب الجهاد العلمي الذي حث الله عليه ورسوله الكريم ﷺ.

فما انصرف الناس عن طلب العلم الشرعي وتوجيه أبنائهم إليه إلا نتيجة لتردي المكانة التي تعطى لعلماء الشرع وطلابه داخل مجتمعاتنا الإسلامية. ويأتي الاعلام والأمثلة الشعبية والنكث الملغومة مع الكثير من الهمز واللمز لتزيد طينة العلماء بلة فترسخ مكانتهم البئسة في المجتمعات. ولكن يكفيهم فخراً أن الله امتدحهم من فوق السماوات السبع وخصهم بمكانة ما خص بها أحدا بعد الرسل والأنبياء صلوات الله عليهم أجميعن. ولما كان "على قدر أهل العزم تأتي العزائم" فكذلك مكانة العلماء وطلاب العلم تسمو وترتفع بقدر قيامهم بواجبهم بكل إخلاص وتفان وتجرد تام لخدمة هذا الدين.

فكلما كانوا هم أنفسهم في مستوى هذه المكانة التي بوأهم الله إياها كلما أظهرهم الله على جميع الحاقدين والمنافقين والمستهزئين.. ولقد أصبحنا نلمس ذلك في الآونة الأخيرة بحمد الله من خلال كوكبة من العلماء الفضلاء كلما أظلم الزمان أضاؤوا هم كالشموع تحترق لكي تضيء للآخرين.

فإذا علمنا هذه المكانة الرفيعة التي خص الله بها العلماء، أدركنا مدى فداحة فقدانهم وغيابهم عن قضايا الأمة، **فالعلماء هم للأمة كالملح للطعام فمتى غابوا فسد الطعام ولم يعد صالحا أو قلت صلاحيته في أحسن الأحوال. وفقدان العلماء هو نقصان في العلم الصحيح**، قال رسول الله ﷺ : «إن الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من الناس، ولكن يقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤوسا جهلاء فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا». وهو مانلاحظه في كثير من الأحيان مع الأسف الشديد.

وقد ودعت الأمة في الآونة الأخيرة زمرة من خيرة العلماء الأجلاء نحسبهم كذلك ولا نزكي على الله أحداً.

آخر هذه الكواكب المضيئة ودعت بلادنا في الأيام الأخيرة عالما ربانيا ورعا تقيا، وهب كل عمره القصير لخدمة العلم والنصح للمسلمين تحصيلا ودعوة وارشاداً وتأليفا وسلوكا قويما وسمتا ربانيا رفيعا ظل ملازما له حتى آخر لحظة في حياته فكان رحمه الله إذا رؤي ذكر الله، ذلك أخونا الحبيب الدكتور فريد الأنصاري تغمده الله بواسع رحمته وأسكنه فسيح جنانه مع النبيئين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا. و﴿إنا لله وإنا إليه راجعون﴾.

ذ . عبد القادر لوكيلي